AYDI EST.

Translation – Open Learning

2021-2022

Third Year Second Term

1+2+3

اللغة العربية

د. لميس داود

26.11.2021
03/10.12.2021

المحاضرتان الأولى والثانية

٢٠٢١/١١/٢٦

٢٠٢١/١٢/٣

أسعد الله أوقاتكم...

مقرركم هو نصوص من الأدب العربي المعاصر، الفصل الثاني من السنة الثالثة، سنتطرق في هذا المقرر لمجموعة من النصوص الشعرية والنثرية، وكلها ضرورية لطالب الترجمة، لأن النصوص التي سوف تدرسها هي نصوص جميلة تزخر بالكثير من المفردات والتراكيب والألفاظ الضرورية لطالب الترجمة، والتي ستنمي مهاراتكم...

بالنسبة لأي نص شعري أو نثري فإنه في كل نص ستقرؤون النصوص ونقوم بدارسة الجانبين الفني والفكري في تلك النصوص ثم نقوم بالإعراب والتطرق لبعض القضايا النحوية والإملائية كالهمزات وغيرها وأيضاً سندرح المعاجم نبدأ.

سأملي عليكم الآن بعض قواعد الهمزة كون الكتاب غير موجود.

الهمزة المتوسطة: تكتب الهمزة المتوسطة بمقارنة حركتها مع حركة الحرف الذي قبلها.

ترتيب الحركات من حيث القوة:

- **الكسرة ويناسبها النبرة أو الياء**
- **الضمة ويناسبها الواو**
- **الفتحة ويناسبها الألف**
- السكون وهي أضعف الحركات ويناسبها السطر

قواعد كتابة الهمزة المتوسطة:

لكتابة الهمزة المتوسطة ننظر إلى حركة الهمزة وحركة الحرف الذي قبلها ثم نكتب الهمزة على ما يناسب الحركة الأقوى: مثل

- **فجأة**: همزة متوسطة كتبت على الألف لأن حركتها الألف وحركة الحرف الذي قبلها السكون والفتحة أقوى من السكون لذلك كتب على ألف.
- **سَئِمَ**: حركتها الكسرة وحركة الحرف الذي قبلها الفتحة والكسرة أقوى من الفتحة لذلك كتبت على نبرة.
- **مؤمن**: حركتها السكون وحركة الحرف الذي قبلها الضم والضم أقوى من السكون لذلك كتبت على واو.
- **تفاؤل**: حركتها الضم وحركة الحرف الذي قبلها الفتحة والضم أقوى من الفتحة لذلك كتبت على نبرة
- **رؤوس**: حركتها الضم وحركة الحرف الذي قبلها الضم والضم يناسبه الواو .

الحالات الشاذة للهمزة المتوسطة:

١. إذا جاءت الهمزة متحركة بالفتحة بعد الألف الساكنة فتكتب منفردة على السطر مثل (قراءة - عباءة).

٢. إذا جاءت الهمزة متحركة بالفتحة أو الضمة بعد الواو الساكنة فتكتب منفردة على السطر مثل (ضَوْءَهم - ضَوْءُهم - هُدوْءَه).

٣. إذا جاءت الهمزة متحركةً بالفتحة أو الضمة أو الكسرة بعد الياء الساكنة فتكتب منفردة على النبرة مثل: (مشيئة - هيئة - بيئة - بفيئها).

الهمزة المتطرفة: هي التي تقع في نهاية الكلمة وقواعد كتابتها:

١. تكتب الهمزة على نبرة إذا سبقت بحرف حركته الكسرة مثل: (شاطئ - هادئ).

٢. تكتب الهمزة على الواو إذا سبقت بحرف حركته الضمة مثل: (تكافؤ - تباطؤ)

٣. تكتب الهمزة على الألف إذا سبقت بحرف حركته الفتحة مثل: (بدأ - نشأ)

٤. تكتب الهمزة على السطر إذا سبقت بحرف ساكن مثل: (دفء - هدوء)

الحالات الشاذة للهمزة المتطرفة:

١. الهمزة المتطرفة إذا كانت مسبوقة بواو مشددة حركتها الضمة فتكتب منفردة على السطر مثل (التبوُّء).

ملحوظة: حياة الشعراء وأعمالهم مطلوبة في الامتحان بالإضافة إلى حفظ ثلاثة أو أربع ابيات من قصيدته.

اليوم سنتحدث على قصيدة (نكبة دمشق - للشاعر أحمد شوقي)

من هو أحمد شوقي؟

هو أمير الشعراء، ولد سنة ١٨٦٨، وتوفي سنة ١٩٣٢.

ولد في القاهرة، لكن أصوله تداخلت بين التركية والعربية واليونانية والكردية والشركسية، وكانت جدته لأمه إحدى وصيفات القصر، لذلك عاش ونشأ وتربى في قصر الخديوي إسماعيل، فكان شاعر البلاط.

أرسله الخديوي إسماعيل في فترة شبابه إلى فرنسا ودرس هناك فترة من الزمن واطلع على الأدب الفرنسي واستطاع أن يأخذ الكثير منه، ثم عاد إلى مصر وعُيِّن في أحد المناصب الدبلوماسية.

أحمد شوقي هو أول من قام بالعمل المسرحي الشعري (المسرحيات الشعرية) مستفيداً مما جاء به من الأدب الفرنسي.

بما أنه كان شاعر القصر وعاش فيه، وتخصص بمدح الخديوي فإنه كان معاصراً للأحداث وجهاً لوجه (كحريق ميت غمر، حادثة دنشواي) إلا أنه لم يكن متفاعلاً معها بما يجب ولم يكن متفائلاً بما يحدث، ومع ذلك كتب فيها كلاماً شعرياً جميلاً.

بعد مدة من الزمن أحس الإنكليز أن الشاعر أحمد شوقي سيثير لديهم الكثير من المشاكل

فأمروا بنفيه إلى إسبانيا ليعيش في مدينة برشلونة الجميلة والتي قضى فيها أوقاتاً سعيدة لا تخلو من بعض الحنين إلى الوطن والإحساس بالفقد لمن فيه، وربما يكون الشعور الوطني والقومي عند أحمد شوقي بدأ في مرحلته الزمنية هذه.

بقي أحمد شوقي في برشلونة قرابة الخمس سنوات، ثم عاد إلى الوطن يملؤه الحنين إليه. متغنياً بما فيه.

لكن أجمل ما كتبه في كل هذا هو قصيدة (نكبة سورية) وألقاها في حفل أقيم في القاهرة عام ١٩٢٦ لإعانة منكوبي سورية حين قامت بالثورة ضد المستعمر الفرنسي (وهذه هي مناسبة القصيدة) ...

نكبة دمشق

أحمد شوقي

قيلت هذه القصيدة في حفلةٍ أقيمت في مسرح حديقة الأزبكية في كانون الثاني عام ١٩٢٦ لمواساة الشعب السوري عامة وأهالي مدينة دمشق خاصة، إثر الهجمات الشرسة التي قام بها المحتل الفرنسي مخلّفاً الدمار (الدمار: مفعول به) والخراب، وسنختار بعض الأبيات من هذه القصيدة الطويلة:

لنقرأ القصيدة....

سَـــــلامٌ مِـــــن صَـــــبا بَـــــرَدى أَرَقُّ

وَدَمـــــــعٌ لا يُكَفكَـــــــفُ يـــــا دِمَشـــــقُ

وَمَعـــــــذِرَةُ اليَراعَـــــــةِ وَالقَـــــوافي

جَـــــلالُ الـــــرُزءِ عَـــــن وَصـــــفٍ يَـــــدِقُّ

وَذِكـــــرى عَـــــن خَواطِرِهـــــا لِقَلبـــــي

إِلَيـــــكِ تَلَفُّـــــتُ أَبَـــــداً وَخَفـــــقُ

وَبي مِـــــمّا رَمَتـــــكِ بِـــــهِ اللَيـــــالي

جِراحـــــاتٌ لَهـــــا في القَلـــــبِ عُمـــــقُ

دَخَلتُـــــكِ وَالأَصـــــيلُ لَـــــهُ ائتِـــــلاقٌ

وَوَجهُـــــكِ ضـــــاحِكُ القَســـــماتِ طَلـــــقُ

وَتَحـــــتَ جِنانِـــــكِ الأَنهـــــارُ تَجـــــري

وَمِـــــــلءُ رُبـــــــاكِ أَوراقٌ وَوُرقُ

وَحَـــــولي فِتيَـــــةٌ غُـــــرٌ صِـــــباحٌ

لَهُـــم في الفَضـــلِ غايـــاتٌ وَسَـــبقُ

عَـــلى لَهَـــواتِهِم شُـــعَراءُ لُســـنُ

وَفي أَعطـــافِهِم خُطَبـــاءُ شُـــدقُ

رُواةُ قَصـــائِدي فَاعجَـــب لِشِـــعرٍ

كُـــلَّ مَحَلَّـــةٍ يَرويـــهِ خَلـــقُ

غَمَـــزتُ إِبـــاءَهُم حَتّـــى تَلَظَّـــت

أُنـــوفُ الأُســـدِ وَاضـــطَرَمَ المَـــدَقُ

وَضَـــجَّ مِـــنَ الشَـــكيمَةِ كُـــلُّ حُـــرٍّ

أَبِيٍّ مِـــن أُمَيَّـــةَ فيـــهِ عِتـــقُ

لَحاهـــا اللَهُ أَنبـــاءً تَوالَـــت

عَـــلى سَـــمعِ الـــوَلِيِّ بِمـــا يَشُـــقُّ

يُفَصِّـــلُها إِلى الـــدُنيا بَريـــدُ

وَيُجمِلُهـــا إِلى الآفـــاقِ بَـــرقُ

تَكـــادُ لِرَوعَـــةِ الأَحـــداثِ فيهـــا

تُخـــالُ مِـــنَ الخُرافَـــةِ وَهـــيَ صِـــدقُ

وَقيـــلَ مَعـــالِمُ التـــاريخِ دُكَّـــت

وَقيـــلَ أَصـــابَها تَلَـــفٌ وَحَـــرقُ

أَلَســـتِ دِمَشـــقُ لِلإِســـلامِ ظِـــئراً

وَمُرضِـــعَةُ الأُبُـــوَّةِ لا تُعَـــقُّ

صَـــلاحُ الـــدينِ تاجُـــكَ لَـــم يُجَمَّـــل

وَلَـــم يوسَـــمَ بِـــأَزيَنَ مِنـــهُ فَـــرقُ

وَكُـــلُّ حَضـــارَةٍ في الأَرضِ طالَـــت

لَهـــا مِـــن سَرجِـــكِ العُلـــويِّ عِـــرقُ

سَـــماؤُكِ مِـــن حُـــلى الماضي كِتـــابٌ

وَأَرضُـــكِ مِـــن حُـــلى التـــاريخِ رِقُّ

بَنَيـــــتِ الدَولَـــــةَ الكُـــــبرى وَمُلكـــــاً

غُبـــــــارُ حَضـــــــارَتَيهِ لا يُشَـــــــقُّ

لَـــــهُ بِالشـــــامِ أَعـــــلامٌ وَعُـــــرسٌ

بَشـــــــائِرُهُ بِأَنـــــــدَلُسٍ تَـــــــدُقُّ

رُبـــــاعُ الخلـــــدِ وَيحَـــــكِ مـــــا دَهاهـــــا

أَحَـــــقٌّ أَنَّهـــــا دَرَسَـــــت أَحَـــــقُّ

وَهَـــــل غُـــــرَفُ الجِنـــــانِ مُنَضَّـــــداتٌ

وَهَـــــل لِنَعـــــيمِهِنَّ كَـــــأَمسِ نَســـــقُ

وَأَيـــــنَ دُمـــــى المَقـــــاصِرِ مِـــــن حِجـــــالٍ

مُهَتَّكَـــــــةٍ وَأَســـــــتارٍ تُشَـــــــقُّ

بَـــــرَزنَ وَفي نَـــــواحي الأَيـــــكِ نـــــارٌ

وَخَلـــــفَ الأَيـــــكِ أَفـــــراخٌ تُـــــزَقُّ

إِذا رُمِـــــنَ السَـــــلامَةَ مِـــــن طَريـــــقٍ

أَتَـــــت مِـــــن دونِـــــهِ لِلمَـــــوتِ طُـــــرقُ

بِلَيـــــلٍ لِلقَـــــذائِفِ وَالمَنايـــــا

وَراءَ سَـــــمائِهِ خَطـــــفٌ وَصَـــــعقُ

إِذا عَصَـــــفَ الحَديـــــدُ إِحمَـــــرَّ أُفـــــقُ

عَـــــلى جَنَباتِـــــهِ وَاســـــوَدَّ أُفـــــقُ

سَـــــلي مَـــــن راعَ غيـــــدَكِ بَعـــــدَ وَهـــــنٍ

أَبَـــــينَ فُـــــؤادِهِ وَالصَـــــخرِ فَـــــرقُ

وَلِلمُســـــــــتَعمِرينَ وَإِن أَلانـــــــوا

قُلـــــوبٌ كَالحِجـــــارَةِ لا تَـــــرِقُّ

رَمـــــاكِ بِطَيشِـــــهِ وَرَمـــــى فَرَنســـــا

أَخـــــو حَـــــربٍ بِـــــهِ صَـــــلَفٌ وَحُمـــــقُ

إِذا مـــــا جـــــاءَهُ طُـــــلّابُ حَـــــقٍّ

يَقـــــولُ عِصـــــابَةٌ خَرَجـــــوا وَشَـــــقّوا

دَمُ الثُـــــــوّارِ تَعرِفُـــــــهُ فَرَنســـــــا

وَتَعلَـــــمُ أَنَّـــــهُ نـــــورٌ وَحَـــــقُّ

جَـــــرى في أَرضِـــــها فيـــــهِ حَيـــــاةٌ

كَمُنهَـــــلِّ السَـــــماءِ وفيـــــهِ رِزقُ

بِـــــلادٌ مـــــاتَ فِتيَتُهـــــا لِتَحيـــــا

وَزالـــــوا دونَ قَـــــومِهِمُ لِيَبقـــــوا

وَحُـــــرِّرَتِ الشُـــــعوبُ عَـــــلى قَناهـــــا

فَكَيـــــفَ عَـــــلى قَناهـــــا تُســـــتَرَقُّ

وَلا يَبنـــــي المَمالِـــــكَ كَالضَـــــحايا

وَلا يُـــــدني الحُقـــــوقَ وَلا يُحِـــــقُّ

فَفـــــي القَـــــتلى لِأَجيـــــالٍ حَيـــــاةٌ

وَفي الأَسرى فِـــــدىً لَهُمـــــو وَعِتـــــقُ

وَلِلحُرِّيَّـــــةِ الحَمـــــراءِ بـــــابٌ

بِكُـــــلِّ يَـــــدٍ مُضَـــــرَّجَةٍ يُـــــدَقُّ

جَـــــزاكُم ذو الجَـــــلالِ بَنـــــي دِمَشـــــقٍ

وَعِـــــزُّ الشـــــَرقِ أَوَّلُـــــهُ دِمَشـــــقُ

سنتحدث اليوم عن القصيدة بشكل عام ولاحقاً سنتحدث عن الدراسة الفنية والفكرية والمعاجم

قصيدة نكبة دمشق لأحمد شوقي

تناول الشاعر في هذه القصيدة ثلاث أفكار:

١. تحية لدمشق واستياء من قصف الفرنسيين لدمشق ١٩٢٦.

٢. قسوة المستعمر وشدته التي كانت أقسى من الحجارة.

٣. الدعوة إلى التضحية والفداء والاستشهاد في سبيل الحق.

المعنى والشرح العام:

يقول شوقي: حملت لنا رياح بردى سلاماً رقيقاً ودمعاً لا يهدأ، فقد قبح الله مثل هذه الأخبار التي تؤذي محبي دمشق، تأتي إلينا متصلة وتنتقل بسرعة البرق إلى آفاق الأرض كلها، ويقول:

وصل إلينا أنَّ دمشق التاريخية يحيط بها الدمار، مظهراً أنَّ الاستعمار مهما بدا رقيقاً ويدعو إلى شعارات رنانة، فهو قاسٍ كالصخر. لكن دماء الشهداء دين للوطن على الأفراد يُدفع وقت الملمات (الأزمات والمصائب)، ولا يمكن أن يكون هناك موتٌ أو استشهاد إذا لم يكن الأفراد أحراراً يشعرون بمسؤوليتهم.

إنَّ الحياة تقوم على المتناقضات فكل شهيد يخلق بدمه حياة جديدة لغيره، وكل أسير يحرر الأحياءَ من المستعمرين، فللحرية بابٌ لا يفتح إلا بدم حرٍّ شهيد يطرقه من أجل نصرة الحق.

التحليل بشكل عام:

إذا تأملنا أبيات النص وجدناها عذبةً سلسة، ما إن يقرأها القارئ حتى يعلق بذهنه بعض أبياتها، والأبيات من البحر الوافر (بحور الشعر غير مطلوبة)، مما يضاف إلى السلاسة والعذوبة مما يتسم بها هذا البحر من خفة موسيقية.

- **البيت الأول:**

سَـــــلامٌ مِـــــن صَـــــبا بَـــــرَدى أَرَقُّ

وَدَمـــــعٌ لا يُكَفكَـــــفُ يـــــا دِمَشـــــقُ

نلحظ التصريح (تطابق آخر حرف من الشطر الأول مع آخر حرف من الشطر الثاني) (أرقُّ ودمشقُ)، وهذا ما يلفت انتباه الشاعر ويصور لنا بلفظة (يكفكف) بكثرة الدموع وعدم الانقطاع، ويختم شاعرنا البيت الأول بالنداء (يا دمشقُ للمواساة)

- **البيت الثالث عشر:**

يُفَصِّـــــلُها إلى الـــــدُنيا بَريـــــدٌ

وَيُجمِلُهـــــا إلى الأفـــــاقِ بَـــــرقُ

صورة توحي بأنَّ مصاب دمشق فادح ومن فداحته وصل آفاق الدنيا. إذ لا تنتقل بسرعة إلا الأخبار الكبيرة المهمة.

- ويجملها: كناية عن السرعة (يفصلها ويجملها) فيها طباق

إلى هنا تنتهي المحاضرة وفي المحاضرة القادمة سنتحدث على الدراسة الفكرية والفنية

تعد هذه الأبيات خير تمثيل وتجسيد عن شعر الإحياء العربي.

- **الرزء:** المصيبة.
- **اليراع:** القلم.
- **ائتلاق:** مصدر خماسي همزته همزة وصل وهو اللمعان والضياء.
- **القسمات:** جمع قسمة، وهي تقاسيم الوجه.
- **الورق:** جمع ورقاء وهي الحمامة.
- **غُرٌّ:** جمع أغر وهو الرجل مضيء الجبهة.

- صِباح: ذوو وجوه صبوحة مبتسمة ممتلئة منيرة الصباح.
- لهوات: جمع لهى، وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم.
- شدْق: جمع أشدق وهو البليغ المفوّه.
- ظئر: هي التي تحن على ولدها.

إضاءة على النص:

أولاً _ الجانب الفكري:

ملحوظة (الفقرة الأولى من الصفحة ٢٣ من كتابكم المقرر غير مطالبين بها)

من عند ((النص كما هو واضح من الأدب القومي، ..... وحتى ومن هنا نفسّر البيت الآتي من القصيدة:

نصحتُ ونحن مختلفون داراً ولكن كلنا في الهم شرقُ

المطلوب من هنا.... ؟

ففي البيت ما يشي بغياب المفهوم القومي وبروز النزعة الشرقية، وفحواها عند شوقي وحافظ إبراهيم وأترابهما أنَّ العالم مقسّم إلى قسمين كبيرين: عالم ثرواته وسلب حرياته، وعالم الشرق المعتدى عليه وعلى معتقداته وقيمه وعاداته وحضارته الأصيلة.

وكانت النزعة الإسلامية المتجلية في الخلافة العثمانية قوية مصر، وبخاصة بعد رحيل العثمانيين عنها، وبعد أن احتلَّ الإنكليز البلاد في عام ١٨٨٢ م، وكان المفكرون والأدباء يرون الخلاص من هذا المستعمر الغربي الغريب بالعودة إلى الإسلام والدولة العثمانية، ولذلك يركز الشاعر على الإسلام جامعاً كما في قوله:

أ لستِ _ دمشق _ للإسلام ظئراً ومرضعة الأبوة لا تُعقُّ

ومع ذلك كله فإنَّ الشاعر يركز على التاريخ العربي المجيد، على طريقة شعراء مدرسة الإحياء في مصر: البارودي - شوقي - حافظ إبراهيم، والعراق: مردم - ناصيف اليازجي. فدمشق التي انتهك حرمتها المستعمر الفرنسي هي عاصمة الأمويين الذين رفعوا رايات العرب والإسلام في كل مكان من العالم شرقاً وغرباً وجنوباً، وجابت حضارتهم الأقطار، ونشرت تعاليمها السمحة في كل مكان، فقال الشاعر:

وكلُّ حضارة في الأرض طالت لها من سرجكِ العلوي عرق

سماؤك من حلى الماضي كتابٌ وأرضكِ من حلى التاريخ رقُّ

بنيتِ الدولة الكبرى وملكاً غبارُ حضارتيه لا يُشقُّ

وله بالشام أعلامٌ وعرسٌ بشائره بأندلسٍ تُدقُّ

ثانياً: الجانب الفني:

إنَّ هذا النص من مدرسة الإحياء ، التي ينتمي إليها الشاعر أحمد شوقي بقوة ، صحيح أن

البارودي هو رأس هذه المدرسة وأول من شقّ الطريق إليها ودعّم أركانها ، ولكن هذه المدرسة تجلّت في شعر شوقي أكثر مما تجلت في أشعار معاصريه ، في معجمه الشعري (مفرداته) تتجلى صفات هذه المدرسة في انتقاء المفردات انتقاء دقيقاً ، لتتناسب والموضوع الذي يتناوله الشاعر ، ففي المقطع الأول وصف للمكان (دمشق) ، وفيه شبه بعيد بالوقوف على الأطلال في الشعر العربي القديم ، ولذلك اختار الشاعر الكلمات المناسبة من تسليم (سلام) ، وتحديد المكان (بردى - دمشق- الأنهار - ورق) ، وصفات معروفة لسكان هذه المدينة (فتية - غر - صباح - فضل- شعراء - خطباء - إباء - أنوف - حر - أبي - أمية - عتق) ، وهي مفردات دالة على موضوعاتها وأفكارها الصغرى .

وظل الشاعر في انتقاء المفردات يجول ضمن المدرسة الإحيائية التي حاول شعراؤها مجاراة القدماء في مفرداتهم ، ولذلك تسللت إلى أبيات القصيدة بعض الكلمات الفصيحة الجزلة التي تحتاج من القارئ أن يعود إلى المعجم لمعرفة معانيها ، ومنها على سبيل المثال : (الرزء - إنتلاق - ورق - لهوات - أعطاف - شدق - المدق- الشكيمة - عتق - لحى - ظئر - تعق- ....الخ) ، وهي مفردات تؤكد انتماء هذه المدرسة إلى الشعر العربي في عصوره الذهبية من الشعر الجاهلي إلى الشعر العربي (بشار - أبو نواس - أبو تمام - البحتري - المتنبي - المعري ...الخ) ، وهذا ما يعرف بمفهوم التناص اللفظي باعتباره شكلاً من أشكال نظرية التناص في عصر ما بعد الحداثة .

أما التراكيب فهي كلاسيكية خالصة، ففيها من القوة والمتانة والرزانة ما في شعر المتنبي والبحتري ونابغة بني ذبيان، فشوقي شاعر الموسيقا الصافية والعبارة الرشيقة والديباجة الساحرة، والجملة المتينة التي تؤكد شاعرية اللغة العربية، وهي تستفيد في سياقاتها أصفى ما وصلت إليه تراكيب الشعر العباسي عند أبرز أعلامه، وكان الشاعر شوقياً يدخل في منافسة شديدة مع هؤلاء الفحول في هذا المجال، ولننظر في هذه الجمل الخبرية المتلاحقة المتساوقة المتعاونة لتوضيح المراد في البيتين الأخيرين من المقطع الأول:

غمـــزتُ إبـــاءهم حتـــى تلظـــت أنـــوف الأسْـــد واضـــطرم المـــدقُ

وضـــجّ مـــن الشـــكيمة كـــلُّ حـــرٍّ أبيّ مـــن أميّـــة فيـــه عتـــقُ

والجمل الإنشائية كثيرة في هذه القصيدة، وهي موزعة بين الأمر (فأعجب لشعر)، والنداء (بني سورية)، والاستفهام (وهل غرف الجنان منضدات - وأين دمى المقاصر - وكم صيد بدا لك)، وثمة الاستفهام التقريري الخبري، وهو ما يسمّى بـ (تساؤل العارف)، في قوله:

أ لســتِ _ دمشــق _ للإســلام ظــئراً ومرضـــعة الأبـــوة لا تُعـــقُّ

وتساؤل العارف هذا يذكرك ببيت جرير في ممدوحه عبد الملك بن مروان:

ألســتم خــير مــن ركــب المطايــا وأنـــدى العـــالمين بطـــون راح؟

أما الصور الشعرية فهي احيائية متنوعة موزّعة بين التشابه والاستعارات وأمثالها، وهي مشدودة إلى صور القدماء بخيوط متينة، ففي وصفه لدمشق:

دخلتـــك والأصـــيل لـــه ائـــتلاق ووجهـــك ضـــاحك القســـمات طلـــق

شيء غير قليل من بيت المتنبي الشهير في ممدوحه سيف الدولة:

تمـــرُ بـــك الأبطـــال كلمـــى هزيمـــة ووجهـــك وضـــاح وثغـــرك باســـم

بالرغم من أنَّ بيت شوقي في وصف المكان (دمشق) وبيت المتنبي في وصف المكان (دمشق) وبيت المتنبي في وصف ممدوحة في المعركة الفاصلة.

و في وصفه لذيوع قصائده وانتشارها في كل مكان من أصقاع الأرض العربية:

رواة قصـــائدي، فأعجـــب لشـــعرٍ بكـــلِّ محلـــة يرويـــه خلـــق

شيء غير قليل من افتخار المتنبي بذيوع قصائده وانتشارها في أصقاع المعمورة، وبخاصة في البيت الآتي:

ومـــا الـــدهر إلا مـــن رواة قصـــائدي إذا قلـــت شـــعراً أصـــبح الـــدهر منشـــداً

لمّت

...

المحاضرة الثالثة

٢٠٢١/١٢/١٠

أسعد الله أوقاتكم...

في المحاضرة السابقة تحدثنا على قصيدة أحمد شوقي (نكبة دمشق) واليوم سنتابع بالإعراب.

البيت الأول

سَـــــلامٌ مِـــــن صَـــــبا بَـــــرَدى أَرَقّ

وَدَمـــــعٌ لا يُكَفكَـــــفُ يـــــا دِمَشـــــقُ

- **سلامُ:** مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. **ملاحظة:** إذا دلت النكرة على دعاء جاز الابتداء بها.
- **من صبا: من:** حرف جر.
- **صَبا:** اسم مجرور بمن وعلامة جره الكسرة المقدرة على الألف للتعذر، والجار والمجرور متعلقان بصفة محذوفة لسلام.
- **بردى:** مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة المقدرة على الألف للتعذر.
- **أرقُّ:** خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.
- **دمعٌ:** مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

- **لا**: نافية لا عمل لها.
- **يُكفكفُ**: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، ونائب الفاعل جوازاً تقديره هو يعود على الدمع.
- **(لا يكفكفُ)**: جملة فعلية في محل رفع خبر للمبتدأ.
- **يا**: أداة نداء.
- **دمشقُ**: منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب على النداء.

البيت الثاني

وَمَعـــــــذِرَةُ اليَرَاعَـــــــةِ وَالقَـــــــوافي

جَـــــلالُ الـــــرُزءِ عَـــــن وَصـــــفٍ يَـــــدِقُ

- **معذرةَ**: مفعول مطلق منصوب لفعل محذوف، وعلامة نصبه الفتح الظاهر على آخره.
- **اليراعةِ**: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة.
- **جلالُ**: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.
- **جملة (يدق)**: جملة فعلية في محل رفع خبر للمبتدأ، والتقدير: جلالُ الرزء يدق عن الوصف.

البيت الثالث

وَذِكـــــرى عَـــــن خَواطِرِهـــــا لِقَلبـــــي

إِلَيـــــكِ تَلَفُّـــــتُ أَبَـــــداً وَخَفـــــقُ

- **أبداً**: مفعول فيه ظرف زمان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره متعلق بالمصدر (تَلَفُّتُ).

البيت الرابع

وَبي مِـــــمّا رَمَتـــــكِ بِـــــهِ اللَيـــــالي

جِراحـــــاتٌ لَهـــــا في القَلـــــبِ عُمـــــقُ

- **الليالي**: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء للثقل.
- **جراحاتٌ**: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفع الضمة الظاهرة على آخره.
- **بي**: جار ومجرور متعلقان بخبر مقدم محذوف تقديره كائنة.

البيت الخامس

دَخَلتُـــــكِ وَالأَصـــــيلُ لَـــــهُ ائـــــتِلاقُ

وَوَجهُـــــكِ ضـــــاحِكُ القَسَـــــماتِ طَلـــــقُ

- **طَلقُ**: خبر ثان مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة

إعراب لبعض المفردات من القصيدة...

- غرُّ: صفة لفتية مرفوعة مثلها
- فأعجب: الفاء استئنافية، أعجب: فعل أمر مبني عللا السكون الظاهر على آخره والفاعل مستتر وجوباً تقديره أنتَ.
- خَلقُ: فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره
- غَمَزتُ: فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك والتاء ضمير رفع متحرك مبني على الضم في محل رفع فاعل.
- إباءَهُم: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بالإضافة، والميم للجمع.
- حتى: حرف غاية ونصب
- ضج من الشكيمة كل: كل فاعل مرفوع
- حرٌّ: مضاف إليه
- بريدُ: فاعل مرفوع بالضمة
- (معالم التاريخ دكت): جملة مقول القول في محل نصب مفعول به.
- ألست (دمشق): جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب.
- صلاح الدين .... لم يجمل: لم: حرف جزم ونفي وقلب
- يُجَمَّل: فعل مضارع مبني للمجهول مجزوم وعلامة جزمه السكون الظاهر على آخره ونائب الفاعل جوازاً تقديره هو يعود على التاج.
- إذا ما: ما زائدة لا عمل لها أتت بعد إذا.

دم الثوار تعرفه فرنسا:

- دمُ: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.
- الثوارِ: مضاف إليه
- (تعرفه): جملة فعلية في محل رفع خبر دمٌ.
- بلادٌ (ماتَ فِتيَتُها): جملة فعلية في محل رفع صفة بلاد.

بَنـــــي ســـــورِيَّةَ اِطَّرِحـــــوا الأَمـــــاني

وَأَلقـــــوا عَـــــنكُمُ الأَحـــــلامَ أَلقـــــوا

- بَني سورِيَّةَ: بني: منادى مضاف منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم.
- اِطَّرِحوا: فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل.
- الأَماني: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على الياء للثقل.

نَصَـــــــحتُ وَنَحـــــــنُ مُختَلِفـــــــونَ داراً

وَلَكِـــــــن كُلُّنـــــــا في الهَـــــــمِّ شَرقُ

- (وَنَحنُ مُختَلِفونَ داراً): جملة اسمية في محل نصب حال.

وَلِلحُرِّيَّـــــــةِ الحَمـــــــراءِ بـــــــابٌ

بِكُـــــــلِّ يَـــــــدٍ مُضَـــــــرَّجَةٍ يُـــــــدَقُّ

- **وللحرية**: الواو استئنافية واللام حرف جر، حرية اسم مجرور بالكسرة والجار والمجرور متعلقان بخبر مقدم محذوف.
- **الحمراء**: صفة الحرية.
- **بابٌ**: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.
- **بكلِّ**: جار ومجرور متعلقان بالفعل يدق.
- **يدٍ**: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة.
- **يُدَقُّ**: فعل مضارع مبني للمجهور مرفوع بالضمة.
- **(معالم التاريخ)**: جملة أسمية في محل نصب مفعول به مقول القول.
- **(وإنْ لانوا)**: جملة فعلية اعتراضية لا محل لها من الإعراب.
- **(يُدَقُّ)**: في محل جر صفة

الآن سننتقل للثقافة المعجمية

معاجم الألفاظ العربية:

١. معاجم رتبت المواد فيها بحسب الحرف الأخير من الكلمة مع مراعاة الحرف الأول فيما سمي بالباب والفصل. فكلمة (كتبَ) نجدها في باب الباء فصل الكاف مع مراعاة ترتيب التاء. ومن المعاجم التي اتخذت هذه الطريقة:

- تاج اللغة وصحاح العربية معروف باختصار (الصحاح) للجوهري توفي ٣٩٣ هـ.
- لسان العرب لابن منظور توفي ٧١١ هـ
- القاموس المحيط للفيروز أبادي توفي ٨١٦ هـ
- تاج العروس للمرتضى الزبيدي توفي ١٢٠٥ هـ

٢. معاجم رتب المواد فيها بحسب الحرف الأول من الكلمة مع مراعاة الحرف الثاني والثالث فيما سمي بالباب والفصل، وهذه أشهر طرق الترتيب وأيسرها ومن أشهر المعاجم التي اتخذت هذا الترتيب:

- أساس البلاغة للزمخشري توفي ٥٣٧ هـ
- جمهرة اللغة لابن دريد توفي ٣٢١ هـ
- مقاييس اللغة لابن فارس توفي ٣٩٥ هـ.

- المصباح المنير للفيومي توفي ٧٧٠ هـ.

وفي العصر الحديث ظهرت معاجم كثيرة اتبعت هذا الترتيب لسهولته وليسره.

- المعجم الوسيط والمعجم الوجيز اللذين أخرجهما مجمع اللغة العربية في القاهرة.
- المعجم المدرسي لمحمد خير أبو حرب ولقد نشرته وزارة التربية في سورية.
- المنجد للأب لويس المعلوف الذي نشر أول مرة في بيروت سنة ١٩٠٨

تطبيقات من النص:

- **ائتلاقٌ:** نجردها من أحرف الزيادة فتصبح (ألق) نجدها في باب القاف فصل الألف في معجم يأخذ بأواخر الكلمات
- **ضجَّ:** نفك التضعيف، فتصبح (ضجج) في المنجد نجدها في باب الضاد مع مراعاة الحرفين الأول والثاني.
- **مضرجة:** نجردها من أحرف الزيادة، فتصبح (ضرج)، نجدها في المعجم المدرس في باب الضاد مع مراعاة تسلسل الراء والجيم.

سؤال: استخرج من الأبيات جمع تكسير وجمع مؤنث سالم وجمع مذكر سالم.

- **جمع التكسير:** هو ما دل على أكثر من اثنين وتغيرت صورة مفرده (مسطرة – مساطر، عالم – علماء)، وسمي جمع تكسير لأنه يكسر الكلمة
- **جمع تكسير من النص:** خواطرها، الليالي، الأنهار، ألقاب.
- **جمع مذكر سالم من النص:** المستعمرون.
- **جمع مؤنث سالم من النص:** جراحات، غايات.

ننتقل الآن إلى نص جديد، نقرأ النص في الصفحة ٢٤ التربية والأمهات للأديب معروف الرصافي، وهو نص اجتماعي يتحدث عن المرأة.

هي الأخلاق تنبُتُ كالنباتِ ... إذا سُقِيَت بماءِ المكرُماتِ

تقوم إذا تعهّدها المُربّي ... على ساق الفضيلة مُثمراتِ

وتسمو للمكارم باتّساقٍ ... كما انّسقت إنابيبُ القناةِ

وتنعش من صميم المجد روحاً ... بأزهارٍ لها متضوّعاتِ

ولم أرَ للخلائق من مَحَلٍّ ... يهذّبها كحضن الأمهاتِ

فحضنُ الأمّ مدرسةٌ تسامت ... بتربيةِ البنين أو البناتِ

وأخلاقُ الوليد تُقاسُ حُسناً ... بأخلاقِ النساءِ الوالداتِ

وليس ربيبُ عاليةِ المزايا ... كمثلِ ربيب سافلة الصفاتِ

وليس النبتُ ينبتُ في حنانٍ ... كمثل النبت ينبتُ في الفلاةِ

فيـــا صـــدرَ الفتـــاة رَحُبْـــتَ صَـــدراً ... فأنـــت مقـــرَ أســـنى العاطفـــات

نـــراك إذا ضـــممتَ الطفـــلَ لوحـــاً ... يفـــوق جميـــع ألـــواح الحيـــاة

إذا اســـتندَ الوليـــد عليـــك لاحـــت ... تصـــاوير الحنـــانِ مُصَـــوَّراتِ

لأخـــلاق الوليـــد بـــك انعكـــاسٌ ... كـــما انعكـــس الخيـــال عـــلى المـــرآة

ومـــا ضَرَبـــاتُ قلبـــكِ غـــير درس ... لتلقـــين الخصـــالِ الفاضـــلاتِ

فـــأوّلُ درس تهـــذيب الســـجايا ... يكـــون عليـــكَ يـــا صـــدرِ الفتـــاة

فكيـــف نظُـــنّ بالأبنـــاء خـــيراً ... إذا نشـــؤوا بحضـــن الجـــاهلات

وهـــل يُرجَـــى لأطفـــال كـــمالٌ ... إذا ارتضـــعوا ثُـــديَ الناقصـــاتِ

فـــما للأمهـــاتِ جهلْـــن حتـــى ... أتـــينَ بكـــلّ طيّـــاش الحصـــاة

حَنـــونَ عـــلى الرضـــيع بغـــيرِ علـــمٍ ... فضـــاع حُنُـــوُّ تلـــك المرضـــعات

أ أمَّ المـــؤمنين إليـــك نشـــكو ... مصـــيبتنا بجهـــل المؤمنـــات

فتلـــك مصـــيبة يـــا أمُ منهـــا ... نكـــاد نغـــص بالمـــاء الفـــرات

تخـــذنا بعـــدكِ العـــادات دينـــاً ... فأشـــقى المســـلمون المســـلمات

فقـــد ســـلكوا بهـــنّ ســـبيل خُســـرٍ ... وصـــدّوهن عـــن ســـبُل الحيـــاة

بحيـــث لـــزمنَ قعـــر البيـــت حتـــى ... نـــزلنَ بـــه بمنزلـــة الأداة

وعـــدوهنّ أضـــعف مـــن ذبـــابٍ ... بـــلا جـــنحٍ وأهـــون مـــن شـــذاة

وقـــالوا: شرعـــة الإســـلام تقضـــي ... بتفضـــيل الـــذين عـــلى اللـــواتي

وقـــالوا: إن معنـــى العلـــم شيءٌ ... تضـــيق بـــه صـــدور الغانيـــات

وقـــالوا: الجـــاهلات أعـــف نفســـاً ... عـــن الفحشـــا مـــن المـــتعلمات

لقـــد كـــذبوا عـــلى الإســـلام كـــذباً ... تـــزول الشـــمُّ منـــه مزلـــزلاتِ

ألـــيس العلـــم في الإســـلام فرضـــاً ... عـــلى أبنائـــه وعـــلى البنـــات

وكانـــت أمّنـــا في العلـــم بحـــراً ... تحـــلّ لســـائليها المشـــكلات

وعلّمَهـــا النبـــي أجـــلَّ علـــمٍ ... فكانـــت مـــن أجَـــل العالمـــات

لـــذا قـــال: ارجعـــوا أبـــداً إليهـــا ... بثلثـــيَ ديـــنكم ذي البينـــات

وكـــان العلـــم تلقينـــاً فأمســـى ... يحصـــل بانتيـــاب المدْرســـات

وبـــالتقرير مـــن كتـــب ضـــخام ... وبـــالقلم الممـــدّ مـــن الـــدواة

ألم نـــرَ في الحِســـان الغيـــد قـــبْلاً ... أوانـــسَ كاتبـــاتٍ شـــاعرات

وقـــد كانـــت نســـاء القـــوم قِـــدماً ... يَـــرُحن إلى الحـــروب مـــع الغـــزاة

يكنَّ لهم على الأعداء عوناً ... ويضمِّدن الجروح الدامياتِ

وكم منهنَّ من أسرت وذاقت ... عذاب الهون في أسر الغزاةِ

فماذا اليومَ ضرَّ لو التفتنا ... إلى أسلافنا بعضَ الصفات

فهم ساروا بنهج هدىً ... بمنهاج التفرق والشتات

نرى جهل الفتاة لها عَفافاً ... كأنَّ الجهل حِصن للفتاة

ونحتقر الحلائل لا لجرم ... فنؤذيهنَّ أنواع الأذاة

ونلزمهنَّ قعر البيت قهراً ... ونحسبهن فيه من الهنات

لئن وأدوا البنات فقد قبرنا ... جميع نسائنا قبل المسمات

حجبناهُنَّ عن طلب المعالي ... فعِشن بجهلهنَّ مهتكات

ولو عدمت طِباع القوم لؤماً ... لما غدت النساء محجبات

وتهذيب الرجال أجل شرط ... لجعل نسائهم متهذبات

وما ضر العفيفة كشف وجهٍ ... بدا بين الأعفاء الأباة

فدىً لخلائق الأعراب نفسي ... وإن وصفوا لدينا بالجفاة

فكم برزت يحييهم الغواني ... حواسر غير ما متربّبات

وكم خشفٍ بمربعهم وظبي ... يمرَّ مع الجداية والمهاة

ولولا الجهل ثمَّ لقلت مرحى ... لمن ألفوا البداوة في الفلاة

شرح الأبيات:

١. تتحدث هذه الأبيات عن تربية الفتاة وتعليمها وتربط الأخلاق بحسن التربية، فالعلم للفتاة مزية لبناء أخلاق الجيل، فإذا حسنت أخلاق النساء حَسُنت أخلاق الأطفال، لأن الشجر تثمر على شاكلتها. (الأبيات الثلاثة الأولى)

٢. ليست أخلاق الطفل إلا صورة منعكسة عن أخلاق والدته (البيت رقم ١٦)

٣. الأم المتعلمة هي أم فاضلة بامتياز وجديرة بالأمومة، والطفل الذي نشأ بحض أمٍ جاهلة لا يرتجى منه خير. (البيت رقم ١٧)

٤. في التاريخ الإسلامي شاعرات وكاتبات ومحاربات وأسيرات، وممرضاتٌ يضمدن جراح المرضى ومن ثم نحن ندحض من يرجئ تخلف المرأة إلى الإسلام وإنما السبب الرئيس وراء تخلفها هو العادات والتقاليد (الأبيات من ٣٧ حتى٤٠)

٥. يدعونا الشاعر إلى التأثر بأسلافنا والاقتداء بهم البيت (البيت ٤١)

٦. نهج أجدادنا نهج واتبعوا سبيل الرشاد، في الوقت الذي تفرقنا فيه وتشتتنا ولم تجتمع كلمتنا (البيت ٤٢)

٧. فنحن استسلمنا للعادات والتقاليد البالية التي تعد جهل الفتاة وعدم تعليمها بمنزلة حصن

منيع لها (البيت ٤٣)

٨. يجب أن نعلم أن تعليم المرأة يرفع شأنها فحجبها عن طلب العلم يجعلها غارقة في ظلام الجهل والتخلف ويبعد عنها كل أذية (البيت ٤٧)

الجانب الفكري: (لمن لا يملك كتاباً)

النص ذو موضوع اجتماعي، وهو في قضية طالما شغلت بال المفكرين والأدباء، وهي قضية المرأة في الشرق، والمرأة المسلمة خاصةً، فقد وجد رواد النهضة. أنَّ المرأة في الغرب متقدمة بشكل ملحوظ على المرأة في الشرق، وأدركوا أنَّ وضع المرأة العربية بحال لا تحسد عليه من الجهل والتخلف والظلم والعبودية، ودخل رفاعة رافع الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني والشيخ الإمام محمد عبده وقاسم أمين وسواهم في سجالات حول وضع المرأة العربية، ورأوا أنَّ الشرق لا ينهض إلا إذا نهضت المرأة، ولا تنهض المرأة إلا بتعليمها وتربيتها تربية عصرية، ورفع الظلم والحيف (**الحَيْفُ: المَيْلُ في الحُكم، والجَوْرُ والظُلم**) عنها في قضايا المهر والزواج ولعمل، ولما أعاد بعض المستشرقين تخلف المرأة في الشرق العربي إلى الإسلام نهض جمال الدين الأفغاني والشيخ الإمام محمد عبده لدحض (نقض- طعن) هذه الفرضية، وأثبتا بالحجج الدامغة (**الحجج التي لا تقبل رداً**) والشواهد الثابتة نقيض ذلك، فالإسلام بريء من تخلف المرأة المسلمة، وأعادا ذلك إلى العادات والتقاليد المكتسبة من جهة، وتخلف الرجل نفسه واستعباده من جهة ثانية، وتتبع الرصافي في قصائده عن المرأة أفكار رجالات النهضة، فكانت قصائده صدى صريحاً لأفكارهم، ويتجلى ذلك كله في هذه القصيدة.

في هذه القصيدة ثلاثة مقاطعَ غير متساوية في عدد أبياتها، ولكنها متكاملة في موضوعها الوحيد، وهو تربية الفتاة وتعليمها، ففي المقطع الأول (**الأبيات ١-٩**) تمهيد للموضوع في ربط الأخلاق بحسن التربية، فالعلم للفتاة مزية لبناء أخلاق الجيل، فإذا حسنت أخلاق النساء حسنت أخلاق الأطفال، لأن الشجرة تثمر على شاكلتها:

هناك بيت شعر يتحدث عن توريث مكارم الأخلاق للشاعر زهير بن أبي سلمى وهو من أشهر شعراء الجاهلية حيث قال:

وَهَـــل يُنبِـــتُ الخَطِّـــيَّ إلّا وَشـــيجُهُ ... وَتُغـــرَسُ إلّا في مَنابِتِهـــا النَخـــلُ

كما ويقول:

أَمِـــن أُمِّ أَوفى دِمنَـــةٌ لَـــم تَكَلَّـــمِ ... بِحَومانَـــةِ الـــدَرّاجِ فَـــالمُتَثَلَّمِ

وزهير ابن أبي سلمى كان رجلاً حكيماً، وكان لا يمدح رجلاً إلا بمكانه، غير بقية الشعراء وكان يمدح الشريف والقوي.... هو مدح رجلين الحارث بن عوف وهرم بن سنان لأنهما أوقفا الحرب عن طريق دفع دية القتلى من مالهما الخاص على مدار ثلاث سنوات، وقال الحارث بن عوف: " والله ما قابلت زهير وسلم عليَّ إلا وأعطيته".

إذن كان زهير بعد ذلك يكثر من مدح هَرِم وأبيه سنان وله فيهما قصائد غُر. فحلف هرم ألا

يمدحه إلا أعطاه ولا يسأله إلا أعطاه ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبدًا أو وليدة أو فرسًا. فاستحيا زهير من كثرة بذله له على كل حال، وجعل يتجنب مقابلته.

وكان إذا رآه في محفل قال: "عموا صباحًا غير هَرِم، وخيرَكم استثنيت".

كان زهير قد رأى في منامه في آخر عمره أن آتيًا أتاه فحمله إلى السماء حتى كاد يمسها بيده، ثم تركه فهوى إلى الأرض، فلما احتضر قصَّ رؤياه على ولده.

وهذه الفكرة سابقة على الرصافي، فقد تحدث عنها رفاعة رافع طهطاوي في كتابه: (المرشد الأمين للبنات والبنين)، ثم تابعه الشيخ الإمام محمد عبده وتلميذه قاسم أمين، فقال الرصافي:

فحضنُ الأمّ مدرسةٌ تسامت ... بتربيةِ البنين أو البناتِ

وأخلاقُ الوليد تُقاسُ حُسناً ... بأخلاقِ النساءِ الوالداتِ

وليس ربيبُ عاليةِ المزايا ... كمثلِ ربيب سافلة الصفاتِ

وليس النبتُ ينبتُ في حنانٍ ... كمثل النبت ينبتُ في الفلاةِ

ويتابع الرصافي في المقطع الثاني (الأبيات ١٠-١٩) الفكرة التي جاءت في المقطع الأول ليثبت أنَّ المرأة المتعلمة هي أم فاضلة بامتياز وجديرة بالأمومة وتربية الأطفال على نقيض سواها فيقول:

لأخلاق الوليد بك انعكاسٌ ... كما انعكس الخيال على المرآة

فكيف نظُنَّ بالأبناء خيراً ... إذا نشأوا بحضن الجاهلات

أما المقطع الأخير (الأبيات ٢٠ -٥٣) فهو لب الموضوع، أو لموضوع الرئيسي والغرض من القصيدة، وفيه دفاع عن الإسلام في قضية تخلف الفتاة في الشرق وهذه فكرة دافع عنها بشدة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وذهبا إلى تخلفها يعود إلى بعض العادات الوافدة في الشرق على المرأة المسلمة، والإسلام براء منها، فقال يخاطب أم المؤمنين عائشة زوج النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله:

تخذنا بعدك العادات ديناً ... فأشقى المسلمون المسلمات

ولم يكتف الشاعر بإعادة تخلف المرأة إلى العادات، وإنما دخل في سجال ليؤكد هذه الفكرة، فذهب يقدم الشواهد والأدلة من تاريخ الإسلام ليدحض هذا الرأي، فكيف يتحمل الإسلام تبعة تخلف المرأة في حين أنَّ الإسلام هو الذي دعا على تعليمها، وهذه عائشة نفسها مثال على ذلك:

لقد كذبوا على الإسلام كذباً ... تزول الشمُّ منه مزلزلات

ألـيس العلم في الإسلام فرضاً ... على أبنائه وعلى البنات

وكانت أمّنا في العلم بحراً ... تحلّ لسائليها المشكلات

وعلمهـــا النبـــي أجـــل علـــم فكانـــت مـــن أجـــل العالمـــات

لـــذا قـــال: ارجعـــوا أبـــداً إليهـــا بثلثـــيَ ديـــنكم ذي البينـــات

ولم يكتف الشاعر بهذا الدليل، وإنما راح يقطع الشك باليقين حين ضرب لنا امثله أخرى من التاريخ العربي، ففي التاريخ الإسلامي شاعرات وكاتبات ومحاربات وأسيرات:

ألم نـــرَ في الحِســـان الغيـــد قـــبلاً أوانـــــس كاتبـــــاتٍ شـــــاعرات

وقـــد كانـــت نســـاء القـــوم قِـــدماً يَـــرُحن إلى الحـــروب مـــع الغـــزاة

يكـــنّ لهـــم عـــلى الأعـــداء عونـــاً ويضـــمدن الجـــروح الـــداميات

وكـــم مـــنهنّ مـــن أسرت وذاقـــت عـــذاب الهـــون في أسر الغـــزاة

وهنا يشير الشاعر إلى بعض الشواعر.... وهي أفصح من الشاعرات.

ولذلك وصل الشاعر إلى قناعة تامة بأنَّ نهجنا اليوم غير نهج الأجداد، فهم ساروا على غير ما نسير عليه، ودعا إلى أنْ نعيد حساباتنا في هذه القضية المهمة وأن نبني الأسرة على أساسٍ متين...

هذا بما يتعلق بالجانب الفكري والموضوعي...

وقلنا أنَّ الشاعر هو من شعراء مدرسة الإحياء، وموضوعاتهم كان فيها شيء من التجديد، أكثر من معاصريهم من الشعراء، والقضية التي بين أيدينا هي قضية المرأة المسلمة في الشرق وردَّ هذا الأمر إلى الإسلام والشاعر دافعَ دفاعاً واضحاً عن المرأة والإسلام وكيف أنَّ الإسلام هو مع المرأة وليس ضدها.

هو نظَّم تلك النقاشات الفكرية التي تدور حول هذا الموضوع شعراً حيث لخص آراؤهم وأطلقها، وأبرز من كان يقود هذه الحملة المدافعة عن المرأة وضرورة تعليمها من الشعراء والأدباء هم الأفغاني، وقاسم أمين، والشيخ محمد عبدو.

في النص رد على من اتهموا الإسلام بتخلف المرأة من جهة، فنيه أيضاً نزعة تعليمية واضحة لسلوك الطريق القديم في تربية المرأة، ولذ لك نزع للرصافي إلى إيضاح أفكاره لإيصالها إلى المتلقي العادي دون تعقيد، فقام يضرب الأمثلة لتقريب الفكرة من العقول منذ البيت الأول:

هـــي الأخـــلاق تنبُـــتُ كالنبـــاتِ إذا سُـــقِيَت بمـــاءِ المكرُمـــاتِ

سنتابع في المحاضرة القادمة شرح القصيدة والتطبيقات عليها.